مجلة دراسات بيت المقدس، 2019، 19(3): 417-434
DOI: 10.31456/beytulmakdis.633115

دور الامبراطورية العثمانية في إعمار مدينة بيت المقدس وتطوير بنياتها ومرافقها

زين العابدين زريوح*

ملخص: تركت الإمبراطورية العثمانية بصمة واضحة على مدينة بيت المقدس خلال حكمها الذي امتد لحوالي أربعة قرون، وخصوصا فيما يتعلق بالبنيات الأساسية للمدينة (الأسوار والأبراج والقلاع والطرق وأسبلة الماء والتكايا والمدارس والمستشفيات والأسواق وغيرها)، حتى أصبحت توصف بالمدينة العثمانية لكثرة ما خلفه الحكم العثماني من انعكاسات اقتصادية واجتماعية وثقافية وأمنية إيجابية على مدى تاريخ المدينة المقدسة الحديث والمعاصر، لا زلنا نلمس آثارها إلى حد الساعة. بحيث أسهم السلاطين العثمانيون المتعاقبون -بفعل اهتمامهم الخاص بالمدينة- في إعمارها وتطويرها على كافة الأصعدة، نتيجة المشاريع والميزانيات وكل الإمكانيات المادية والبشرية التي رصدت لها على طول الفترة العثمانية.

الكلمات المفتاحية: الإمبراطورية العثمانية، بيت المقدس، الإعمار، المرافق.

The role of the Ottoman Empire in the reconstruction of the city of Bayt al-Maqdis and the development of its structures and facilities

ABSTRACT: *The Ottoman Empire left a clear imprint on the city of Bayt al-Maqdis during its four-century rule, especially with regard to the city's infrastructure (walls, towers, citadels, roads, water fountains, lodges, schools, hospitals, markets amongst others), until it became known as the Ottoman city, due to the many economic, social and cultural positives impacts of the Ottoman rule throughout the history of the Holy City until the contemporary period, still felt to this very day. Successive Ottoman Sultans, through their distinctive interest in the city, contributed to its reconstruction and development at all levels. This was a result of the many projects and budgets allocated together with other material and human resources allocated to the Holy City throughout the Ottoman period.*

KEYWORDS: *Ottoman Empire, Bayt al-Maqdis, reconstruction, facilities.*

* جامعة ابن طفيل، القنيطرة/ المغرب، zinelabidine83@hotmail.com

مقدّمة

تناولت مجموعة من الدراسات الأكاديمية وضع بيت المقدس تحت الحكم العثماني، أو إنجازات العثمانيين بها، وذلك عن طريق إعطاء لمحة عامة على المدينة تحت السلطة العثمانية خلال فترة معينة أو التركيز على الوضعين السياسي أو الإداري على وجه الخصوص. أما فيما يتعلق بالتطرق لإعمار المدينة والمرافق والبنيات التي خلفتها الإمبراطورية العثمانية فيها، فنجد أن أغلب الأبحاث ذهبت صوب تناول معلم أو مرفق معين أو بعضها دون استفاضة في خلفياتها العميقة وتأثيراتها الماضية والحاضرة. لذلك استهدفت هذه الدراسة الوقوف على معظم إنجازات السلاطين العثمانيين داخل بيت المقدس، وأثرها على مستوى تطوير البنيات التحتية للمدينة، وانعكاسات ذلك من خلال إعمارها طيلة قرون من الإدارة العثمانية، وما ساهم فيه ذلك من تنشيط للحياة المقدسية على مختلف الأصعدة الدينية والثقافية والاجتماعية والمعمارية والديمغرافية والاقتصادية، الشيء الذي مكن المدينة من اكتساب كل أدوات الصمود المادي والحضاري الذي امتد إلى غاية قدوم الاحتلالين البريطاني والصهيوني. هذه العناية التي لم تكن بمحض الصدفة، وإنما ارتبطت بالضرورة بسياسية عثمانية مدروسة تقف وراءها عدة أهداف، رغم بعض الإخفاقات المؤقتة التي وجب تفسيرها. فما هي الأسباب التي دفعت العثمانيين لإيلاء هذا الاهتمام الكبير ببيت المقدس؟ وإلى أي حد نجحوا في إعمار المدينة وتجهيزها بكل ما يلزم من ضروريات الحياة؟ وأين تكمن انعكاسات ذلك على كافة المستويات؟ وما هي التأثيرات الممتدة لهذه المنجزات العثمانية إلى غاية الزمن الراهن؟

حجم الإعمار العثماني في مدينة بيت المقدس وعمق الاهتمام بها

تعاقبت عدة حضارات ودول على حكم مدينة بيت المقدس منذ أول إعمار تاريخي لها على يد الكنعانيين. لكن تبقى الإمبراطورية العثمانية التي حكمت المدينة من 1516 إلى 1917م من أكثرها تأثيرا وبروزا على مستوى التشييد والبناء والتعمير، إلى درجة تحولت معها إلى مدينة على الطراز العثماني تحمل معظم معالمها ومرافقها لمسة عثمانية، الشيء الذي شجع على الاستقرار السكاني داخل المدينة وتطورها العمراني وازدهار مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية بها خلال هذه الفترة من تاريخها. حيث تعود حوالي 70% من مرافق ومعالم المدينة –القائمة إلى هذه الساعة– إلى عهد الدولة العثمانية، منها مئات من المباني التي هي في جزء منها عبارة عن منشآت وأوقاف،[1] خاصة وأن السلاطين العثمانيين أعطوا أولوية كبرى للمدينة المقدسة، وركزوا فيها على التعمير والإنشاء وبناء المرافق وتوفير مختلف الخدمات محاولة منهم ترك بصمتهم فيها، نظرا لقدسية المدينة وأهميتها الدينية والروحية.[2] لا سيما في ظل العناية العامة التي أولاها سلاطين بني عثمان لإعمار وترميم المقدسات الإسلامية، وإنشاء الجوامع، حيث كان للمدينة احترام خاص طيلة هذه الفترة، وأطلقوا اسم "القدس الشريف" عليها.[3]

دور السلطان سليمان القانوني في تحصين ونهضة المدينة المقدسة

كان للسلطان العثماني سليمان القانوني بالغ الاهتمام بالمدينة المقدسة، وكان أكثر سلاطين الإمبراطورية بروزا في مشاريع البناء والتشييد القائمة بها إلى غاية الوقت الراهن، وفي مقدمة هذه المباني والأوقاف سور بيت المقدس، الذي يعد إلى جانب أبوابه من أهم معالم المدينة المقدسة، هذا السور الذي لم يكتب له البناء في عهد السلطان سليم الأول، وذلك بعد أن اشتكى له سكان المدينة عقب الفتح من فقرهم وتسلط العربان وغيرهم من قطاع الطرق عليهم، ليعقد إثرها العزم على عمارة السور، غير أن الموت عاجله سنة 1520م دون تحقيق هدفه.[4] إلى أن تم إنجاز هذا المشروع على عهد السلطان القانوني ما بين 1536-1540م بعدما ظلت المدينة من دون أسوار تحميها لمدة تجاوزت 300 سنة، حيث اشتمل على 34 برجا وسبعة أبواب من أشهرها: باب العمود، باب الخليل، باب النبي داود، باب المغاربة، باب الأسباط وباب الساهرة. وأيضا الأبواب المغلقة ومنها: باب الرحمة أو الباب الذهبي والباب المفرد والباب المزدوج والباب الثلاثي، بحيث ساعد بناء السور على إعمار المدينة وازدهارها، وذلك بعد فترة من الركود وغياب التعمير بها منذ أن دمر الملك المعظم عيسى الأيوبي أسوارها سنة 1219م،[5] هذه الأبواب المختلفة التي يتجه كل منها إلى جهة معينة من البلاد العربية بقصد تجميع الشعوب المسلمة.[6] حيث مكن بناء هذا السور من توسعة المدينة أكبر مما كانت عليه إبان حكم المماليك وتجدد تخطيطها، إذ تحولت من مدينة مربعة صغيرة لا تتجاوز مساحتها 700000 متر مربع إلى مدينة تبلغ مساحتها المسورة نحو 868000 متر مربع، مما مكن بعض الحارات من أن تصبح داخل السور، هذا السور الذي جلب له الأمير بيرام جاويش –الناظر الشرعي على إنشائه– البنائين من أهل الخبرة من مصر في مقابل 10 آلاف قطعة عثمانية، كما حصل السور على تبرعات إضافية من كل الفئات ومن عدد من المدن الشامية والقريبة من بيت المقدس.[7]

كما أن السلطان القانوني عمل على ترميم قلعة المدينة التي كانت مقرا للإنكشارية، وأقام حامية في المدينة ضمانا لأمنها وسلامة أهلها،[8] هؤلاء الإنكشارية الذين كان يتم تكليف بعضهم عند الحاجة –إلى جانب بعض إنكشارية الشام– بوظائف مرتبطة بإدارة ومراقبة الأوقاف المتعلقة بمرافق المدينة المقدسة،[9] وأنشأ البرج الكائن على يمين الداخل من باب الخليل سنة 1531م، وأوكل حراسة الدرب السلطاني الذي يربط المدينة بيافا إلى عائلة آل أبي غوش.[10] وعين على تسيير شؤون المدينة ولاة كانوا تحت إمرة الباب العالي، وحرص على القيام بكل ما يؤول إلى إعلاء شأنها على حد اعتراف المسيحيين أنفسهم، وباشر أيضا بناء عدد من المدارس والمساجد وترميم قبة الصخرة والمسجد الأقصى وغيرها.[11] بحيث ترك العثمانيون بصمتهم على قبة الصخرة –التي تعود إلى العصر الأموي– من خلال البلاط القاشاني والنوافذ

الزجاجية الملونة، ثم على الجامع الأقصى (القبلي).[12] وتم جلب ألواح القاشاني التي استخدمت في تلبيس المثمن الخارجي لقبة الصخرة من مدينة إسطنبول، إذ كلفت هذه العملية —حسب السجلات الشرعية– 25367 دينارا ذهبيا من ذهب قايتباي والغوري والسليماني الجديد.[13] كما أمر السلطان سليمان القانوني إلى جانب ترميم قبة المسجد بتجديد ثلاثة من أبوابه التي تم تصفيحها بقطع النحاس المجلوبة كذلك من العاصمة العثمانية،[14] وعمر جدران المسجد الأقصى، والباب الغربي لقبة الصخرة، وفتح الباب المعروف بباب سنتا مريم وسد الباب الذهبي،[15] وبنى "محراب النبي" غرب قبة الصخرة إلى الشمال بينها وبين قبة المعراج سنة 1538م، واستبدل أيضا فسيفساء قبة السلسلة بالقاشاني، وأنشأ بها محرابا زينه بالمواد نفسها سنة 1561م، وجدد القنطرة الغربية الشمالية في صحن قبة الصخرة سنة 1566م.[16]

ويضم السور إلى الآن أربعة أحياء سكنية تاريخية رئيسية في المدينة هي: الحي الإسلامي والحي المسيحي والحي الأرمني وباحة المسجد الأقصى (الحرم الشريف)، إلا أن أحياء جديدة أضافها المسلمون فيما بعد إلى المدينة القديمة خارج السور مثل حي الشيخ جراح، وحي باب الساهرة، وحي واد الجوز، لتعرف المدينة القديمة بعد هذا التوسع بـ"القدس الشرقية".[17]

وقام هذا السلطان –بالإضافة إلى ذلك–ببناء خندق بيت المقدس الذي جلب له معدات الحفر من الباب العالي سنة 1555م، بإشراف فروخ بك أمير لواء المدينة المقدسة، وذلك لتوفير المزيد من التحصينات لفائدة المدينة إلى جانب السور الذي تم تشييده.[18] زيادة على الكثير من البنيات التحتية، والمرافق الاجتماعية الشهيرة التي وفرت خدمات مهمة لساكنة المدينة على مدى قرون، حيث عمل السلطان سليمان القانوني على حل مشكلة المياه المزمنة بمدينة بيت المقدس من خلال اهتمامه بالمنشآت المائية، وإصلاحها وصيانتها كالقنوات والبرك والأسبلة والحمامات،[19] ومنها مشروع برك أو أسبلة سليمان الذي ظل يمد المدينة بالماء منذ إنشائه على يد هذا السلطان،[20] ويبلغ عدد هذه الأسبلة سبعة، وبنيت بأمر من السلطان سليمان القانوني سنة 1536م بهدف توصيل الماء عبر قنوات أرضية من برك سليمان وقناة السبيل إلى مختلف حارات بيت المقدس حتى يتسنى لسكان المدينة التغلب على مشكلة نقصان المياه الصالحة للشرب.[21] وغيرها من سبل الماء التي استحدثت خلال هذه الفترة كسبيل قاسم باشا الذي يقع في الجانب الغربي للمسجد الأقصى اتجاه باب السلسلة، وأنشأه أمير لواء المدينة سنة 1527م خلال عهد السلطان القانوني كما تؤكد النقيشة المثبتة على الضلع الغربي للسبيل.[22] كما راعى العثمانيون كذلك مشكلة المياه في المسجد الأقصى، حيث أوجدوا لها حلولا تضمن استمرار تدفق المياه للمصلين، وعُيِّن عليها عدد من المستخدمين في وظيفة السقاية ومتابعة الآبار والأسبلة، إلى جانب وظائف أخرى استحدثت بالمسجد الأقصى مثل وظيفة الصيرفة لتسيير ميزانية المسجد.[23]

ولم يعدم السلاطين الآخرين من بعد السلطان سليمان القانوني من مجهودات لاستكمال ما بدأه هذا السلطان في سبيل تأمين وتعمير مدينة بيت المقدس، حيث عمل السلطان مراد الرابع على بناء قلعة حملت اسمه "قلعة مراد" عند برك سليمان على طريق الخليل بعدما لوحظ اختلال الأمن، وتجاسر قطاع الطرق وتخريبهم لينابيع المياه، وأنشأ داخلها مسجدا وخمسين منزلا لإسكان الجنود، إذ كانت تحت حراسة أربعين جنديا مجهزين بالمدافع ومسلحين بكامل العتاد العسكري الضروري[24].

التكايا والمساجد في السياسة العثمانية بمدينة بيت المقدس وانعكاساتها الاجتماعية

ونلمس خلال هذه الفترة أيضا النشاط الكثيف لعدد من التكايا والرباطات،[25] ومنها وقف السلطان سليمان وأوقاف أخرى. حيث وجدت ببيت المقدس عدد من الرباطات المخصصة لنزول المجاورين للمدينة والزائرين والأرامل والعجائز وكبار السن ومن ليس له سكن، وقد اختلفت وظائفها حسب الفئة المستهدفة من كل رباط، إذ كان هناك على سبيل المثال رباطان خاصان بالنساء والعجائز.[26] ومنها تكية السلطان سليم الأول التي أمر ببنائها هذا السلطان سنة 1517م خلال إقامته بالمدينة المقدسة عقب فتحها، وذلك نزولا عند رغبة أهلها الذين اشتكوا إليه فقرهم، رغم عدم معرفة مكان هذه التكية على وجه الدقة الآن، ومن محبساتها قرية القصور.[27] ولعل أبرزها تكية "خاصكي سلطان" أو"العمارة العامرة"، التي أنشأتها زوجة السلطان سليمان القانوني، روكسيلانة،[28] ما بين عامي 1551-1557م، لتقديم مختلف الخدمات والوجبات المجانية للمحتاجين من أهالي المدينة وغيرهم من عابري السبيل، حتى أصبحت أكبر مؤسسة خيرية في بيت المقدس وفلسطين طوال العهد العثماني، ولها أوقاف كثيرة مرتبطة بها داخل المدينة وربوع الشام، منها عقارات ممتدة على أراضي الأرض المقدسة وطرابلس الشام والرملة وغزة وبيت لحم وبيت جالا وغيرها، كما ارتبط بها حمامان بالمدينة (حماما خاصكي سلطان) -من بناء ناظر الحرمين مصطفى جلبي بن محمود- حبّسا على التكية سنة 1556م، وأوقف عليها السلطان القانوني أيضا أوقافا أخرى بعد وفاة زوجته سنة 1559م ضمانا لاستمراريتها[29] ضمت أربع قرى ومزارع في ناحية صيدا.[30] وقد تكونت هذه التكية من 55 غرفة وساحة كبيرة وخان ومسجد ومطبخ، موفرة بذلك حوالي أربعين وظيفة لأهالي بيت المقدس، كانوا يتقاضون رواتب شهرية جيدة بلغت في بعض الأحيان 30 قطعة ذهبية.[31] وكان المطبخ أهم مرفق في التكية، حيث كان يقدم يومياً مئات الوجبات إلى ضيوف الرباط والصوفية والطلبة والفقراء بشكل عام.[32]

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الرباطات والزوايا الأخرى مثل: رباط سنان بن محمود الصوغنجي الذي أنشأه عام 1532م في خط واد الطواحين وأوقفه سنة 1534م،[33] كما أنشأ أيضا خانا قبل سنة 1528م اشتهر بخان الغادرية نظرا لإلحاقه كوقف بمصالح المدرسة الغادرية، وكذا زاوية الأمير حاجي بك

التي بناها أمير لواء صفد في السنة نفسها، والمعروفة بزاوية الشيخ علي الخلوتي،[34] هذا الأخير الذي عمل كذلك على بناء المسجد الحامل لاسمه "مسجد الشيخ علي الخلوتي" والمعروف بمسجد "المئذنة الحمراء" قبل سنة 1533م.[35] وكذا رباط الأمير بيرام جاويش الذي أنشأه الأمير المشرف على بناء سور بيت المقدس، وذلك في موضع حوش يعود إلى العصر المملوكي كان موقوفا على إطعام فقراء المدينة، حيث قام بشراء الحوش وتطويره وأوقف عليه أوقافا كثيرة انطلاقا من سنة 1540م.[36] إضافة إلى مجموعة من الأربطة الأخرى التي استمرت في عملها بفضل المجهودات العثمانية مخلِّصة المدينة من مظاهر العوز والجوع والتشرد، وموفرة المأوى للعديد من الفقراء وعابري السبيل وغيرهم، وذلك من قبيل: الرباط المنصوري ورباط علاء الدين البصير ورباط المدرسة التنكزية ورباط الحموي ورباط نسيبة[37]، والزاوية الأفغانية أو القادرية في حارة الواد[38] والزاوية الخنثنية بجوار المسجد الأقصى، والزاوية الداودية التي ظلت تستقبل وتأوي زوار بيت المقدس وتقدم لهم الطعام على الطريقة السلطانية حتى أواخر الحكم العثماني.[39]

وكذلك الخلوات مثل خلوة الدكري أو خلوة "برويز كتخدا" التي أنشأها الأمير برهان الدين بن والي الدكري سنة 1532م، وأعاد برويز كتخدا والد الأمير قيطاس بك أمير لواء المدينة المقدسة بناءها وتجديدها سنة 1559م فنسبت إليه، وخلوة الأمير جان بولاد أو الخلوة الجنبلاطية في الجانب الغربي من سطح قبة الصخرة، وقد أنشأها الأمير قاسم الكردي القصيري أمير لواء الأكراد في حلب سنة 1556م.[40] زيادة على مجموعة من المساجد مثل مسجد الشيخ علي الخلوتي السالف الذكر، ومسجد نائب القلعة (المسجد القيمري) الذي بني قبل سنة 1552م على يد نائب قلعة بيت المقدس فهمي الأنصاري، إلى جانب مسجد ساحة البازار ومسجد بد العشرة وغيرها من المساجد التي بنيت كذلك في القرن الذي بعده على يد الحاج سنان بن إلياس، ومسجد رابعة خاتون (مسجد زاوية الهنود) الذي أنشأته رابعة خاتون بنت إلياس سنة 1556م على أرض اشتراها لها زوجها الإنكشاري أصلان بن عيسى الذي كان يعمل بقلعة المدينة،[41] ومسجد الطور الذي أنشئ سنة 1537م.[42] وتم كذلك تحويل مقام النبي داود إلى مسجد على يد السلطان سليمان القانوني.[43] مثلما عمل السلطان محمد الرابع على بناء المئذنة الكائنة بداخل "قلعة مراد" سنة 1655م، وأنشأ المصلى الواقع بجانب سبيل شعلان في المسجد الأقصى سنة 1651م.[44]

الجانب التعليمي والثقافي من الإعمار العثماني للمدينة

ومن جهة أخرى، تميزت المرافق الثقافية والتعليمية في بيت المقدس كذلك بالحيوية والنشاط خلال العهد العثماني، حيث استمر العمل بما بين 31-44 مدرسة من العهد المملوكي، حبّست عليها العديد من الأوقاف طوال العهد العثماني، مما مكنها من تغطية نفقات الترميم والمخصصات المالية للطلبة والعاملين

فيها.[45] ومن أبرزها المدرسة القادرية التي استمرت في أداء وظائفها طيلة الحكم العثماني، حيث عمل مختلف مشايخ بيت المقدس من أبناء العائلات المعروفة في وظائف هذه المدرسة،[46] وكذا المدرسة المعظمية التي كان لها دور في الحياة الثقافية بالمدينة، خصوصا خلال القرنين 17 و18م، بحيث تعددت الوظائف بهذه المدارس التي اشتغل بها مشايخ وأئمة وخطباء المدينة ومفتيها بفضل مكانتها العلمية.[47] كما اتسم التعليم العثماني في المدينة بضمان نوع من الحياة الديمقراطية ما بين مختلف طبقات المجتمع المقدسي الغنية والفقيرة منها، لاسيما وأن المدارس ضمت شريحة واسعة من أبناء الأوساط الشعبية البسيطة.[48]

إضافة إلى المكاتب المتعددة، والتي كانت متخصصة في المرحلة الأولى من مراحل التعليم، حيث كان يطلق عليها اسم: المكتب خانة، ويلقن بها الأطفال الصغار في الأساس مبادئ الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن الكريم، إذ وُفّرت لها هي الأخرى مجموعة من الأوقاف لعمارتها وتغطية مصاريفها ومخصصات طلبتها وأجور العاملين بها[49]. ومن أبرز المكاتب التي أُنشئت في العهد العثماني مكتب بيرام جاويش بن مصطفى الذي يحمل اسم منشئه، ويدعى أيضا بالمدرسة البيرمية، والذي باشر بناءه بعد إنهائه تشييد سور المدينة سنة 1540م، كما أنشأ إلى جانبه رباطا وضريحا دُفن فيه بعد وفاته، وقد حبّس على المكتب والرباط عدة أوقاف للتكفل بمصاريفهما، منها 50 ألف درهم عثماني ومصبنة ومصبغة، زيادة على عدد من الدور والحوش والقرى والمزارع في الأرض المقدسة، إلى جانب أوقاف أخرى في لواء غزة والرملة، وخُصّص راتب يومي لمؤدب الصبيان في المكتب، وتم ترميمه وإعادة إعماره إلى جانب الرباط سنة 1645م[50]. زيادة على مكتب طورغود أغا بن محمود الذي يعود بناؤه هو الآخر إلى النصف الأول من القرن 16م على يد المشرف العثماني على أوقاف "تكية خاصكي سلطان"، والذي نُسب إليه المكتب، هذا المكتب الذي تولى إدارته مجموعة من العسكريين العثمانيين وخُصصت له مجموعة من الأوقاف العينية والنقدية المهمة للإنفاق عليه[51].

كما اتسم بيت المقدس في الفترة العثمانية برعاية المكتبات المقدسية وإيقاف الكتب عليها، وهو ما قام به السلطان سليمان القانوني على غرار عادة من سبقه من السلاطين المماليك، بالإضافة إلى تخصيص أجور لأمناء هذه المكتبات، ولا سيما أمين الكتب بخزانة قبة الصخرة الذي كان يتقاضى راتبا يوميا، حيث حظيت كتب المسجد الأقصى –والذي ضم خزانة ثانية إلى جانب خزانة مسجد القبة– باهتمام بالغ من لدن السلطات العثمانية من خلال تجليدها وتغليفها، مثلما أمر به أمير لواء بيت المقدس مصطفى باشا سنة 1705م حينما لاحظ تدهور حالة كتب خزانة مسجد القبة.[52] وكذا المكتبة الخالدية بجوار المسجد الأقصى والتي ظلت محط إقبال كبير حتى نهاية العصر العثماني، وضمت نفائس المخطوطات التي استقطبت الزوار من خارج المدينة المقدسة.[53] كما توفرت مكتبات داخل عدد من

المدارس مثل المدرسة الأمينية والمدرسة الصلاحية والجوهرية والغادرية والأرغونية، والتي كان يشرف عليها أيضا موظف يدعى بأمين الكتب أو الخزنة، بل وضم بعضها أكثر من خزانة على غرار المدرسة الأشرفية التي كانت تحتوي على ثلاث مكتبات يشرف عليها عدد مهم من الموظفين، ولعل أبرزها مكتبة المدرسة الفخرية التي كانت تزخر بأكثر من 150 كتاب ما بين المخطوطات والمؤلفات المتنوعة.[54] إلى جانب نشاط المكتبات الخاصة التي ضمت هي الأخرى عددا مهما من المخطوطات من قبيل مكتبة محمد أمين الدين الخليلي التي اشتملت على 383 كتابا نفيسا ومكتبة عبد القادر بن موسى آل غضية الحسيني ومكتبة علي بن جار الله بن أبي بكر اللطفي.[55]

تطوير المنشآت الاقتصادية والصحية والقضائية وأثرها في ازدهار المدينة

وتطورت كذلك أسواق بيت المقدس بشكل كبير خلال العصر العثماني وشهدت رواجا ملحوظا بكافة تخصصاتها (سوق القطانين وهو أهم سوق بالمدينة ويقع غرب المسجد الأقصى، سوق العطارين، سوق الزيت، سوق التجار، سوق اللحامين...)، حيث تم الحفاظ على الأسواق القديمة وحركيتها واستحدثت أسواق جديدة مثل سوق الحلويات الذي أنشأه سعيد بن الحاج أحمد السكري خارج باب السلسلة وباب القطانين سنة 1562م، وسوق العطارين الجديد سنة 1565م، كما تم ترميم بعض الأسواق مثل سوق العطارين القديم سنة 1562م[56]. وبالتوازي مع هذا الرواج نشطت وتكاثرت كذلك الخانات المخصصة لتخزين البضائع وعرضها حسب نوعية السلع (خان الفحم، خان الليمون، خان البطيخ، خان الشعّارة، خان المصرف، خان الزبيب...)، ومن أبرزها خان السلطان الواقع في خط باب السلسلة والمتخصص في بيع الخضروات، والذي لعب دورا بارزا في الحركة التجارية بالمدينة، في حين شكل كل من الصابون والزيت والزيتون عصب التجارة في المدينة.[57]

وحظيت المرافق الصحية في المدينة المقدسة أيضا بالعناية العثمانية، حيث أولى هؤلاء للبيمارستان أو المارستان الصلاحي، الواقع بالقرب من كنيسة القيامة والذي أنشأه الناصر صلاح الدين الأيوبي، اهتماما واضحا من خلال الحفاظ على وظائفه في علاج مختلف الأمراض، بل وضم كذلك قسما خاصا بجراحة العيون وآخر لعلاج المجانين، إلى جانب قاعة الشرابخانة لحفظ الأدوية والعقاقير، كما أعيد ترميم بعض مرافقه التي تخربت سنة 1566م.[58] وتوفرت المدينة أيضا على عدد مهم من الحمامات كحمام العين وحمام الشفا وحمام السيدة مريم وحمام البطرك وحمام علاء الدين البصير وحمام حارة اليهود، وكذا حمامي خاصكي سلطان الواردين سابقا...[59] وعرفت مدينة بيت المقدس كذلك، ظهور مرافق أخرى مستحدثة مثل المقاهي التي بدأت في العمل والانتشار والتكاثر بالمدينة انطلاقا من سنة 1578م إلى أواخر العهد العثماني، والتي كان لها دور أيضا في الدينامية الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها المدينة.[60]

وعلى مستوى مرافق القضاء في المدينة المقدسة، فقد اضطلعت المحكمة الشرعية خلال العهد العثماني بتوفير شروط المحاكمة العادلة، والحرص على صيانة الحقوق ما أمكنها ذلك، حتى بين صفوف غير المسلمين، حيث كانت هذه المحكمة على سبيل المثال ترعى حقوق الأيتام اليهود حسبما توضح سجلاتها وتحرص على حقوقهم على غرار أيتام المسلمين.[61]

صيانة الأوقاف ومساهمتها في نشاط التجهيزات والخدمات الحيوية لمدينة بيت المقدس

ومن أجل رعاية شؤون معظم مرافق المدينة من رباطات وتكايا ومدارس ومستشفيات وغيرها، وكذا مصالح الأهالي المتوقفة عليها، عمل العثمانيون على الحفاظ على الأوقاف المحبسة عليها وتنميتها وتحبيس المزيد منها على مثل هذه البنيات الحيوية، ومنعوا استبدال هذه الأوقاف أو التلاعب بها من خلال القانون وردع مسؤولي الدولة في حال التطاول عليها، وكلفوا كبار المسؤولين بمتابعة شؤونها والتجاوزات التي تلحق بها على غرار ولاة وقضاة الولايات، بحيث أقامت الدولة العثمانية الكثير من المنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية، وأوقفوا عليها أوقافاً طائلة للإنفاق عليها، وهو ما كان له أثر كبير في ازدياد عدد الوقفيات وحجمها، وتعددت مجالات الاستفادة منها والإنفاق عليها، كما حرصت الدولة على تعيين النُظّار والمتولّين للإشراف على الأوقاف الخيرية، مع ترك الأوقاف الذرّية في عهدة القيّمين عليها وفقاً لوصية الواقف، إذ أن هذه الأوقاف شملت معظم مصادر الثروة الاقتصادية في العهد العثماني: كالأراضي الزراعية، والدور، والدكاكين، والمعاصر، والحمامات، والطواحين، والمدابغ، والأفراد، ومخازن الغلال، والسفن التجارية، والنقود.[62]

رعاية بنيات ومؤسسات المدينة المقدسة وساكنتها في عهد السلاطين العثمانيين المتأخرين

فرغم التراجع الطفيف في حيوية المدارس والرباطات والزوايا والبيمارستانات منذ القرن السابع عشر الميلادي، إلا أن حركة التعمير لم تتوقف على قلتها، ومنها ترميم السبيل الأيوبي وجامع الحنابلة وترميم قبة الصخرة وجميع المسجد الأقصى، ومقامات الأنبياء والأولياء خلال هذا القرن، وقد تكررت أعمال الترميم هذه خلال القرنين 18 و19م في عدة مناسبات، لاسيما المتعلقة منها بالجامع الأقصى وقبة الصخرة، حيث جرت أعمال الإعمار والترميم بهما في عهد كل من السلاطين أحمد الثالث ومحمود الأول وعبد الحميد الأول خلال سنوات 1705، 1735، 1752، 1780، 1717، 1818م.[63] ومن بينها عملية الترميم التي تمت على يد سليمان باشا والي إيالة صيدا وطرابلس الشام سنة 1816م على نفقته الخاصة، بعدما زار بيت المقدس واطلع على الشكايات بخصوص بعض الخراب الذي لحق بالمسجد الأقصى وأخذه إذن السلطان العثماني في ذلك، حيث تم تغيير سقوفه ورصاص الأسطح والقاشاني، إلى درجة اضطر معها لطلب المساعدة من أهل المدينة نظرا للكلفة الباهظة لهذه الإصلاحات الكبيرة، وأنشأ لذلك معملا

لصناعة القاشاني، عين عليه موظفين، وأتى إليه بالصناع والأدوات اللازمة، كما رمم وعمّر مقام النبي داود بطلب من سدنة هذا المقام.[64] وحتى مع التزايد الملحوظ كذلك في عدد سكان المدينة خصوصا في القرون الأخيرة، فإنهم لم يعدموا سبل العيش الكريم في ظل استمرار الاهتمام العثماني، حيث اعتمد أهلها على إيرادات الأوقاف والمؤسسات الداخلية، إلى جانب المساعدات المالية النقدية التي كانوا يتلقونها من الباب العالي ومن ولاية مصر، إضافة إلى نشاط حركة الحجيج والزوار المسلمين والمسيحيين.[65]

فقد شهدت المدينة خلال القرن 19م من زاوية أخرى، مجموعة من التطورات العمرانية المرتبطة بالمسيحيين واليهود، وذلك انطلاقا من التسامح الديني الذي ميز الحكم العثماني، حيث تم السماح بمجموعة من أعمال الترميم والبناء في الأماكن الدينية الخاصة بالطائفيتين وأماكن نزول حجاجهما،[66] ورُخّص كذلك ببناء المدارس التي تجاوز عددها العشرات عند نهاية الحكم العثماني.[67]

كما عمل السلطان عبد العزيز على إنشاء الطريق التي تربط بيت المقدس بيافا سنة 1868م والطريق التي تربطها بنابلس سنة 1870م، وقام بترصيف شوارع المدينة وأسواقها بالبلاط سنة 1863م، وخصص هو الآخر 30 ألف ليرة لعمارة وزخرفة الحرم، حيث شهدت المدينة خلال هذه الفترة ارتفاعا مهما في عدد السكان الذي بلغ 68 ألف نسمة، بل وامتد العمران خارج أسوار المدينة ابتداء من سنة 1858م خلال عهد السلطان عبد المجيد الأول.[68] ثم عمل بعده السلطان عبد الحميد الثاني على ربط بيت المقدس بالسكة الحديدية سنة 1892م ابتداء من ربطها بمدينة يافا، وأدخل إلى المدينة اللاسلكي، وأنشأ المستشفى البلدي الكائن غربي الشيخ بدر سنة 1891م وبنى البرج العالي على سور المدينة فوق باب الخليل، وجدد عمارة السبيل المعروف بسبيل قايتباي سنة1882م الموجود في ساحة المسجد الأقصى على مقربة من باب القطانين ورصف شوارع المدينة من جديد سنة 1885م، وهو الرصف الذي لا يزال قائما إلى الآن.[69] حيث عمل السلطان عبد الحميد على إنجاز مجموعة من الإنشاءات العمرانية في المدينة المقدسة في فترة وجيزة، لا سيما قبيل زيارة الإمبراطور الألماني فيلهلم الثاني للمدينة سنة 1898م.[70]

ورغم التقلص الجزئي لإشعاع وحيوية المؤسسات والمرافق القديمة بالتزامن مع فترة الانتقال الذي أصبحت تعيشها الامبراطورية خلال القرن السابع عشر باتجاه تراجع القرن 18م، فإنها ظلت تؤدي عملها، وهو ما يؤكده وصف الرحالة العثماني أوليا جلبي الذي زار الأرض المقدسة سنة 1672م يذكر بأنه ينعم بالرخاء، إلى درجة أنه اندهش بمرافق ومنشآت المدينة فضلا عن المسجد الأقصى (الحرم القدسي) والقلعة مثلما، أنه أعجب بأحوالها الاقتصادية ووفرة منتجاتها.[71] إذ يذكر أنه كان يقطن بالمدينة 46000 نسمة من مختلف الأجناس والأديان معظمهم مسلمون عرب، وكان فيها 2045 دكانا و6 خانات عظيمة وكنيس للأرمن و3 كنائس للروم وكنيسان لليهود و240 محرابا للصلاة و7 دور حديث و10 دور للقرآن

الكريم و40 مدرسة للبنين و6 حمامات و18 عشر سبيلا للماء وتكايا لسبعين طريقة منها الكيلانية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية.[72]

إذ يلاحظ بشكل عام أن مدينة بيت المقدس شهدت ازدهارا كبيرا على كافة الأصعدة بفضل العناية العثمانية التي مكنت من تجهيز وإصلاح جل مرافق المدينة الاجتماعية والصحية والاقتصادية والأمنية والدينية، حيث سجلت انطلاقا من بداية استقرار الحكم العثماني ارتفاعا مهما في عدد السكان منذ النصف الثاني للقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي نتيجة استتباب الأمن بالمدينة بفضل التحصين الذي وفرته الأسوار الجديدة ووجود حامية عسكرية مهمة والحد من تطاول قطاع الطرق واللصوص، بالإضافة إلى الانتعاش الاقتصادي وتحسن الأوضاع المعيشية بسبب تزايد فرص العمل في المشاريع السلطانية التي أقامها العثمانيون في بيت المقدس، وتوفير عدد كبير من الوظائف الدينية والعلمية لسكان المدينة في المسجد الأقصى والمدارس والزوايا والرباطات والخانات والحمامات، الشيء الذي انعكس بالإيجاب أيضا على حركة التجارة وأسهم في شيوع صيت سوق المدينة المقدسة.[73] زد على ذلك الصدقات التي كان يقدمها السلاطين العثمانيون إلى سكان بيت المقدس، حيث عاش فقراء المدينة على "الصرة" التي كانت ترسل من داخل الخلافة؛ والتي كانت عبارة عن مبلغ من المال يوزع على الفقراء، هذا العطاء الذي كان يشمل أيضا خدام المسجد الأقصى والمشايخ والعلماء[74] إلى درجة وصف معها قاضي بيت المقدس يوسف الحكيم ما بين 1910-1911م وضعية عيش فقراء المدينة بالرفاهية.[75]

وقد شجعت هذه المرافق والخدمات وعدالة الجهاز القضائي وحماية الممتلكات الخاصة إلى جانب سياسة التسامح والمساواة بين المسلمين وغيرهم التي ميزت السلطنة العثمانية في المدينة المقدسة على تعميرها من قبل المسيحيين واليهود، حيث استقر اليهود على سبيل المثال في حارة تقع في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى نسبت إليهم "حارة اليهود"، كما استقروا كذلك في أحياء أخرى مثل الحيادرة والشرف والريشة، إلى أن بلغ عددهم حسب الإحصائيات العثمانية بداية القرن العشرين الميلادي 18190 نسمة،[76] واعتبروا خلال هذه الفترة مواطنين عثمانيين وكانوا يسمون بالموسويين العثمانيين.[77] وهو ما ترسخ من خلال إصدار خط التنظيمات الخيرية سنة 1856م الذي ثبت مبدأ المساواة القانونية والمدنية لكافة رعايا الدولة، والذي سمح لهم بالوظيفة في الإدارة العثمانية إلى جانب الحقوق القديمة التي تمتعوا بها على طول عمر السلطنة ومنها الاستفادة من خدمات الدولة،[78] ولكن دون التفريط في المعارضة الشديدة للدولة العثمانية للهجرة اليهودية المخطط لها والقادمة من الخارج.[79] كما قدر قاضي بيت المقدس يوسف الحكيم ما بين 1910-1911م عدد المسيحيين بالمدينة بحوالي 40 ألف نسمة معظمهم من الروم الأرثوذكس.[80]

ولعل مختلف أوجه العناية العثمانية هذه هي التي دفعت بالمقدسيين إلى أن يعبروا عن ارتياحهم ويتنفسون الصعداء مع عودة الحكم العثماني للمدينة، بعد سنوات 1831-1840م التي خضعت فيها لحكم إبراهيم باشا، والذي قوبل حكمه -الذي تميز بالقهر والفوضى وانعدام الأمن- بالرفض والثورات من طرف أهل بيت المقدس ومحيطها، هذه الفترة التي شهدت أيضا تراجعا في عدد سكان المدينة إلى حوالي 20 ألف نسمة منهم ألف من المسيحيين فقط، نتيجة تدهور الأحوال العامة للمدينة المقدسة، حيث حاول إثرها السلطان عبد المجيد الأول إصلاح شؤون السلطنة ومعها المدينة، إذ أنفق على عمارة المسجد الأقصى 20 ألف ليرة تركية سنة 1860م.[81] رغم أنه تم رصد نوع من الضعف الذي أصاب هذه المرافق وأوقافها خلال القرن 19م نتيجة وهن الدولة وتزايد التدخلات الأجنبية في المنطقة باستثناء البعض منها التي استطاعت الصمود في ظل هذه الظروف الصعبة على غرار تكية خاصكي سلطان وأوقافها.[82]

غير أن خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وهيمنة جمعية الاتحاد والترقي على القرار في السلطنة العثمانية كانت سببا في بداية الشرخ ما بين السلطنة وبيت المقدس، وتراجع كبير في الاهتمام بها وتحديث مرافقها، حيث دفعت عددا من أبناء المدينة إلى الارتماء في أحضان القومية العربية، مما أدى إلى تدهور كبير في الروابط المقدسية العثمانية لاسيما خلال ولاية جمال باشا.[83]

امتدادات إعمار السلطنة العثمانية لمدينة بيت المقدس

ومع انسحاب الحكم العثماني، فإن المرافق المحبسة وبقية الأوقاف المتعلقة بها داخل مدينة بيت المقدس سواء التي أنشأتها الدولة العثمانية أو التي حافظت عليها- لعبت دوراً بارزاً في صد مخطط الاحتلال البريطاني ثم الاحتلال الصهيوني من بعده في الاستيلاء على الكثير من المباني في المدينة، حيث أسهمت في صيانة الأراضي والعقارات المقدسية، وكذا الفلسطينية المرتبطة بها ومقاومة بيعها، إضافة إلى استمرار دورها المجتمعي واضطلاعها بأهمية دينية في الوعظ والارشاد، الشيء الذي كان له أثر كبير في صمود سكان المدينة المقدسة وفي تحقيق التكافل الاجتماعي بينهم في مواجهة الاحتلال بشتى أنواعه وأساليبه، إذ لوحظ مدى الدور الفاعل الذي لا تزال تنهض به هذه المرافق والمؤسسات داخل المجتمع المقدسي، وذلك سواء على مستوى الزكوات المجموعة عبر "لجان الزكاة" لفائدة معوزي المدينة، وكذا على صعيد إطعام العديد من الأسر الفقيرة من قبيل ما تقوم بها تكية "خاصكي سلطان" التي تطعم أزيد من 600 عائلة في بيت المقدس سنويا إلى غاية الآن، كما أن هذه المؤسسات تشغل لحد الساعة مئات من أهالي المدينة، إذ يتبع لها زهاء 559 موظفاً وموظفة يعملون في المجال الإداري وحراسة المسجد الأقصى من خلال 170 حارساً، بالإضافة إلى السدنة الموكولين بمهام الحفاظ على نظافة المسجد الأقصى وتهيئته للعبادة وممارسة الأنشطة الأخرى، مما أسهم في دعم صمود هؤلاء إلى جانب عوائلهم.[84]

خاتمة

من خلال كل ما سبق يمكن أن نستنتج عدة خلاصات واضحة نجملها فيما يلي:

- إن الدولة العثمانية أولت هذه العناية لبيت المقدس في إطار القيام بواجبات الخلافة الدينية، وتدعيم سلطتها الزمنية بين الرعايا المسلمين على وجه الخصوص، وذلك كدور طبيعي لهذه الخلافة وسياستها الواضحة في الاهتمام بالأماكن المقدسة.
- قامت الامبراطورية بسلاطينها وولاتها وجنودها بالدور الحضاري الأكبر في بيت المقدس خلال فترة حكمها للمدينة التي شهدت فيها أزهى فترات تاريخها.
- وفرة وتنوع المرافق والمؤسسات العثمانية التي قامت عليها رفاهية كل الفئات الاجتماعية وازدهار مظاهر الحياة المقدسية.
- مرور بعض مراحل الفتور على المدينة خلال الحكم العثماني، مرتبط بإكراهات خارجية وبالتراجع الشامل للإمبراطورية في أواخر عمرها.
- تظل المرافق والمؤسسات العثمانية العديدة تذكِّر بالرابطة القوية للمدينة المقدسة بالعالم الإسلامي، وماضيه الذي من المستحيل فصله عنه رغم المحاولات الصهيونية لطمس المعالم العثمانية، التي ظلت شامخة داخل المدينة وتمنحها صورة المدينة الإسلامية العثمانية النموذجية.

ملحق: قائمة بأهم المشاريع العثمانية لإعمار بيت المقدس

المشروع	تاريخ إنجازه	موقعه	صاحبه أو عهد الحكم
تكية السلطان سليم الأول	1517	غير معروف	السلطان سليم الأول
مسجد مقام النبي داود	1526	ربوة مرتفع جبل النبي داود	السلطان سليمان القانوني
زاوية الأمير حاجي بك أو زاوية الشيخ علي الخلوتي	1527	حارة السعدية إلى الجنوب من مسجد المئذنة	حاجي بك أمير لواء صفد
سبيل قاسم باشا	1527	الجانب الغربي للأقصى تجاه باب السلسلة	قاسم باشا أمير لواء المدينة المقدسة
ترميم المسجد الأقصى أو أجزاء منه	مرات متعددة منها سنوات: 1528، 1551، 1561، 1566، 1705، 1735، 1752، 1780، 1717، 1816، 1818، 1860.		مختلف السلاطين العثمانيين
تطوير المدارس المملوكية المتراوح عددها ما بين 31-44 مدرسة	طوال العهد العثماني		مختلف السلاطين العثمانيين
خان الغادرية	1528	سوق القطانين	سنان بن محمود الصوغنجي
برج باب الخليل	1531	جنوب غرب سور المدينة	السلطان سليمان القانوني
ترميم قلعة المدينة	1531	ركن المدينة الشمالي الغربي	السلطان سليمان القانوني

رباط سنان بن محمود الصوغنجي	1532	خط واد الطواحين	سنان بن محمود الصوغنجي
خلوة الدكري أو خلوة برويز كتخدا	1532	غرب محيط صحن الصخرة الشمالي	الأمير برهان الدين بن والي الدكري
مسجد المئذنة الحمراء	قبل 1533	حارة السعدية داخل الحي الإسلامي	الشيخ علي الخلوتي
برك أو أسبلة سليمان السبعة	1536	من جنوب غربي المدينة إلى الأسبلة الخمسة في المسجد الأقصى ومحيطه	السلطان سليمان القانوني
مسجد الطور	1537	مكان كنيسة الصعود الآن	السلطان سليمان القانوني
محراب النبي	1538	غربي مسجد الصخرة إلى الشمال بينها وبين قبة المعراج	السلطان سليمان القانوني
رباط الأمير بيرام جاويش	1540	الطريق الغربي الموازي للأقصى بالقرب من سبيل باب الناظر	الأمير بيرام جاويش أمير لواء المدينة المقدسة
المدرسة البيرمية أو مكتب بيرام جاويش	1540	في الجهة الشمالية لعقبة التكية عند التقائها مع طريق الواد	الأمير بيرام جاويش أمير لواء المدينة المقدسة
تكية خاصكي سلطان	1551–1557	عقبة التكية التي تنسب إليها	خرم زوجة السلطان سليمان القانوني وتنفيذ طورغود أغا بن محمود
المسجد القيمري	قبل 1552	حارة النصارى	نائب قلعة بيت المقدس فهمي الأنصاري
خندق بيت المقدس	1555	جوار سور المدينة	السلطان سليمان القانوني على يد فروخ بك أمير لواء المدينة المقدسة
مسجد رابعة خاتون (مسجد زاوية الهنود)	1556	قرب باب الساهرة	رابعة خاتون بنت إلياس
خلوة الأمير جان بولاد أو الخلوة الجنبلاطية	1556	الجانب الغربي من سطح قبة الصخرة	الأمير قاسم الكردي القصيري أمير لواء الأكراد في حلب
مكتب طورغود أغا	1562	–	طورغود أغا بن محمود
سوق الحلويات	1562	خارج باب السلسلة وباب القطانين	سعيد بن الحاج أحمد السكري
بناء سوق العطارين الجديد وترميم سوق العطارين القديم	1565	غربي المسجد الأقصى	السلطان سليمان القانوني

ترميم البيمارستان أو المارستان الصلاحي	1566	غربي المدينة بقرب كنيسة القيامة في حي الدباغة	السلطان سليمان القانوني
جامع المولوية	1586	حارة السعدية	خداوند كربك حاكم لواء بيت المقدس
قلعة مراد بمسجدها ومنازلها الخمسين	1630	قرب برك سليمان على طريق الخليل	السلطان مراد الرابع
الزاوية الأفغانية أو القادرية	1633	حارة الواد	محمد باشا بن سليمان بن قباذ أمير لواء بيت المقدس
– مسجد ساحة البازار – مسجد بد العشرة – مسجد سويقة علون	– قبالة مقام الشيخ غباين – كان يقع في منطقة الباب الجديد قرب بطريركية دير اللاتين – سوق سويقة علون	النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي	الحاج سنان بن إلياس نائب قلعة بيت المقدس
مصلى	1651	قرب سبيل شعلان في المسجد الأقصى	السلطان محمد الرابع
مئذنة	1655	داخل قلعة مراد	السلطان محمد الرابع
ترميم كتب خزانة مسجد القبة	1705	المسجد الأقصى	أمير لواء بيت المقدس مصطفى باشا
بترصيف شوارع المدينة وأسواقها بالبلاط	1860	كامل مدينة بيت المقدس	السلطان عبد العزيز الأول
ربط المدينة بالطرق المعبدة	1868 و 1870	ما بين بيت المقدس ويافا ونابلس	السلطان عبد العزيز الأول
تجديد سبيل عمارة سبيل قايتباي	1882	ساحة المسجد الأقصى على مقربة من باب القطانين	السلطان عبد الحميد الثاني
رصف شوارع المدينة من جديد	1885	ساحة المسجد الأقصى على مقربة من باب القطانين	السلطان عبد الحميد الثاني
المستشفى البلدي	1891	غربي الشيخ بدر	السلطان عبد الحميد الثاني
ربط المدينة بالسكة الحديدية	1892	انطلاقا من مدينة يافا	السلطان عبد الحميد الثاني
ربط المدينة باللاسلكي	1905		السلطان عبد الحميد الثاني
البرج العالي	1907	على سور المدينة فوق باب الخليل	السلطان عبد الحميد الثاني

الهوامش

[1] الأوقاف: ج. وقف، أصل الوقف لغةً هو الحبس والمنع، فيما اختلف الفقهاء في تعريف الوقف في الاصطلاح الفقهي تبعاً لاختلاف مذاهبهم، فيرى الإمام أبو حنيفة أن الوقف هو *"حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة"* ؛ وهو يرى عدم لزوم الوقف وجواز الرجوع عنه في حياة الواقف ويورث عنه بعد وفاته، وبناءً على ذلك فإن الوقف تبرعٌ للجهة الموقوف عليه بمنافع دون عينه التي تبقى جارية بملك الواقف. وترى المالكية أن الوقف *"إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقائه في ملك معطيها ولو تقديرا، واسما ما أعطيت منفعة"* ، وهذا التعريف لا يخرج الموقوف عن ملك الواقف، كما أنه لا يحق له التصرف في الوقف بالتصرفات الناقلة للملكية كالبيع والإرث، وإنما الانتفاع بها. والوقف عند الشافعية: *"حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح"* ، وهذا يعني حبسه عن البيع والإرث والهبة والرهن وكل ما يضر به. أما الحنابلة فيعرفون الوقف بأنه *"تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"* ، وهذا يفيد تحبيس الأصل والتصرف بالمنفعة، قطناني، عبير، **المؤسسات الوقفية في العهد العثماني العمارة العامرة في بيت المقدس**، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد 17(1)، السنة 2017، ص73.

[2] جميل، محمد. وآخرون، **الآثار العثمانية في القدس (وثائقي)**، قناة الجزيرة الوثائقية، تاريخ العرض: 3 مارس 2016.

[3] رباح، إسحاق، **تاريخ القدس عبر العصور**، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2009، ص227-229.

[4] العارف، عارف باشا، **تاريخ القدس**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1951، ص103.

[5] رباح، **تاريخ القدس**، ص229.

[6] جميل، **الآثار العثمانية**.

[7] غوشة، محمد هاشم، **القدس في العهد العثماني 1516-1566م**، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط1، 2009م، ص89-90.

[8] المرجع السابق، ص79.

[9] قطناني، **المؤسسات الوقفية**، ص76-77.

[10] العارف، **تاريخ القدس**، ص104.

[11] غوشة، **القدس**، ص79.

[12] جميل، **الآثار العثمانية**.

[13] غوشة، **القدس**، ص101-102.

[14] المرجع السابق، ص103، 105.

[15] الدباغ، مصطفى مراد، **موسوعة بلادنا فلسطين**، الجزء العاشر-القسم الثاني: بيت المقدس، دار الهدى، كفر قرع، ط2، 1991، ص8-9.

[16] غوشة، **القدس**، ص113-114.

[17] غضية، أحمد رأفت، **الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس وحسم مصيرها**، مجلة دراسات باحث، السنة الثالثة، ربيع 2005، ص9-10.

[18] غوشة، **القدس**، ص111-112.

[19] رباح، **تاريخ القدس**، ص230.

[20] جميل، **الآثار العثمانية**.

[21] غوشة، **القدس**، ص 88.

[22] المرجع السابق، ص 80.

[23] غوشة، **القدس**، ص 216.

[24] العارف، **تاريخ القدس**، ص105.

[25] التكايا والرباطات: هي عبارة عن مؤسسات خيرية تضم في الغالب مسجد وخان ورباط ومدرسة ومطبخ، كانت تعول فقراء المدينة والزوار وتوظف إيرادات الأوقاف لغرض الإنفاق عليها وعلى عدد من المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والدينية؛ رباح، **تاريخ القدس**، ص230.

[26] غوشة، **القدس**، ص304.

[27] المرجع السابق، ص80.

[28] روكسيلانة: كانت جارية من جواري السلطان سليمان القانوني، أعظم سلاطين بني عثمان، ثم أصبحت زوجة له، كانت روسية الأصل نحيفة ذات شعر أشقر اختطفها التتر من بلدة "روجاتينو" في روسيا، وكانت ما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة من عمرها، وباعوها في إستانبول،

فاشتراها وكلاء السلطان، يسميها المؤلفون الغربيون روكسيلانة Roxelane، واسمها الفعلي الذي أطلقه عليها خازن الكسوة في القصر السلطاني هو "خرّم Khurem" ومعناه الضاحكة أو المرحة، بفعل أسلوب المرح الذي تمتعت به في الغناء، حيث افتتن السلطان بها وأصبحت تدعى "خاصكي سلطان" أي محبوبة السلطان، وهو الإسم آخر أطلقه عليها السلطان نفسه بعد أن أنجبت أول مولود له، ونظرا لولعه بها فقد خرج السلطان على تقاليد البلاط وتزوجها بعد أن أعتقها من الرق، إذ أنجبت له محمود وجاهانجوير وسليم وبايزيد ومرماح. وقد قامت "خرم" بعدة أعمال خيرية منها بناء جامع في أدرنة، وآخر في إستانبول، وميضأة في آقسراي، وبجوارها مطعم خيري "عمارت"، ومدرستين هما "خاصكي خرّم" و "قاهرية" ومستشفى هو "طب خانة خاصكي خرّم"، وتكية في إسطنبول، وأخرى قرب الكعبة المشرفة في مكة حمل إسم عمارت خاصكي خرم. كما لعبت دور في جامع السليمانية الذي بناه السلطان سليمان ودفنت بالقرب منه بعدما لم يكتب لها رؤية إتمام عملية البناء. قطناني، **المؤسسات الوقفية**، ص 81-82.

29 غوشة، **القدس**، ص 106-107.

30 قطناني، **المؤسسات الوقفية**، ص 81.

31 غوشة، **القدس**، ص 299.

32 قطناني، **المؤسسات الوقفية**، ص81.

33 غوشة، **القدس**، ص86.

34 المرجع السابق، ص81-82.

35 المرجع السابق، ص106-107.

36 المرجع السابق، ص99.

37 المرجع السابق، ص304-308.

38 الجبوري، أحمد حسين عبد، **القدس في العهد العثماني 1640-1799م: دراسة سياسية عسكرية إدارية اقتصادية اجتماعية ثقافية**، ج2، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص381.

39 أسود، إبراهيم. وآخرون، **موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين**، المجلد 6: وصف فلسطين أواخر أيام العثمانيين 1898-1916م، تيسير خلف(محرر)، دار كنعان، دمشق، ط1، 2010، ص74-75.

40 غوشة، **القدس**، ص115-116.

41 المرجع السابق، ص110-112.

42 العارف، **تاريخ القدس**، ص104.

43 الدباغ، **موسوعة**، ص8.

44 العارف، **تاريخ القدس**، ص105.

45 الجبوري، **القدس في العهد العثماني**، ص298-299.

46 المرجع السابق، ص341.

47 المرجع السابق، ص353.

48 أسود، **موسوعة رحلات العرب**، ص 88.

49 الجبوري، **القدس في العهد العثماني**، ص372-373.

50 المرجع السابق، ص373-374.

51 المرجع السابق، ص374-375.

52 المرجع السابق، ص381-382.

53 أسود، **موسوعة رحلات العرب**، ص 75.

54 الجبوري، **القدس في العهد العثماني**، ص381-382.

55 المرجع السابق، ص383-384.

56 غوشة، **القدس**، ص283-284.

57 المرجع السابق، ص285-287.

58 المرجع السابق، ص302-303.

59 المرجع السابق، ص310.

60 بركات، بشير، **مقاهي القدس في العهد العثماني**، حوليات القدس، العدد 13، صيف 2012م، ص56.

61 حياصات، ناديا إبراهيم، **رعاية الأيتام اليهود في مدينة القدس في العهد العثماني (1902–1909م)**، مؤتة للبحوث والدراسات–سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32–العدد الأول، 2017م، ص 280.

62 قطناني، **المؤسسات الوقفية**، ص 76–77.

63 رباح، **تاريخ القدس**، ص231.

64 الدباغ، **موسوعة**، ص 13.

65 رباح، **تاريخ القدس**، ص232.

66 المرجع السابق، ص237.

67 أسود، **موسوعة رحلات العرب**، ص172.

68 العارف، **تاريخ القدس**، ص118–119.

69 المرجع السابق، ص120.

70 أسود، **موسوعة رحلات العرب**، ص15–16.

71 قطناني، **المؤسسات الوقفية**، ص77–78.

72 العارف، **تاريخ القدس**، ص105–106.

73 غوشة، **القدس**، ص121.

74 العارف، **تاريخ القدس**، ص120.

75 أسود، **موسوعة رحلات العرب**، ص 88.

76 حياصات، **رعاية الأيتام اليهود**، ص280.

77 المرجع السابق، ص290.

78 عوض، عبد العزيز، **متصرفية القدس أواخر العهد العثماني**، مجلة شؤون فلسطينية، العدد الرابع، السنة 1971، ص 128.

79 المرجع السابق، ص133.

80 أسود، **موسوعة رحلات العرب**، ص84.

81 العارف، **تاريخ القدس**، ص117–118؛ الدباغ، **موسوعة**، ص 23–26.

82 قطناني، **المؤسسات الوقفية**، ص78.

83 العارف، **تاريخ القدس**، ص127–128.

84 قطناني، **المؤسسات الوقفية**، ص79.